العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

البنية الصوتية في الدرس اللغوي العربي في ضوء النظرية البنيوية :دراسة تحليلية مقارنة

ا.م .د ندى صالح يوسف
التخصص العام/ اللغة العربية
التخصص الدقيق/اللغة(علم الأصوات)
Nada.s.yousif@aliraqia.edu.iq

الملخص
تسعى هذه الدراسة إلى استجلاء طبيعة البنية الصوتية في الدرس اللغوي العربي القديم ومقارنتها بمبادئ النظرية البنيوية الحديثة، كما أرسى دعائمها فرديناند دي سوسير وأتباعه في حلقتَي براغ وجنيف. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الدرس الصوتي العربي لم يكن مجرد وصف تعليمي للأصوات، بل تضمّن ملامح نظامية عميقة تقترب من المفاهيم البنيوية الحديثة، وإن تباينت مناهج العرض والتأصيل. اعتمد البحث المنهجَين الوصفي التحليلي والمقارن، وطُبِّق على ظاهرتَي التقابل الصوتي والإدغام بوصفهما نموذجَين تطبيقيَّين، مستنداً إلى أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني وابن سينا من جهة، ومفاهيم دي سوسير وتروبتزكوي وياكبسون ومارتينيه من جهة أخرى. وقد خلص البحث إلى أن الدرس الصوتي العربي يمتلك وعياً نظامياً يتجلى في التصنيف الثنائي للأصوات وفق صفاتها ومخارجها، وأن ثمة تقابلاً وظيفياً حقيقياً بين هذا التصنيف ومفهوم السمات التمييزية البنيوية، مع ضرورة الإقرار بفوارق منهجية جوهرية تتعلق بغياب مفهوم الفونيم المجرد وعدم الفصل الواضح بين المستويَين الصوتي والفونولوجي في التراث العربي.
الكلمات المفتاحية: البنية الصوتية، النظرية البنيوية، الدرس اللغوي العربي، الفونيم، التقابل الصوتي، الإدغام، السمات التمييزية، الخليل بن أحمد، سيبويه، ابن جني

Sound Structure in the Arabic Linguistic Lesson in Light of Structural Theory: AComparative Analytical Study

Prof. Dr. Nada Salih Yousif

Abstract
This study investigates the nature of phonological structure in classical Arabic linguistic scholarship and compares it with the principles of modern structural theory as established by Ferdinand de Saussure and developed by the Prague and Geneva Circles. The study proceeds from the hypothesis that classical Arabic phonological scholarship embedded profound systemic features closely paralleling modern structuralist concepts. The research employs descriptive-analytical and comparative approaches, applied to phonological opposition and assimilation (idghām), drawing on al-Khalīl, Sībawayhi, Ibn Jinnī, and Ibn Sīnā on the Arabic side, and de Saussure, Trubetzkoy, Jakobson, and Martinet on the structural side. Key findings include: Arabic phonological scholarship possesses systemic awareness manifested in binary sound classification; a genuine functional parallel exists with structuralist distinctive features; and fundamental methodological differences persist between the two traditions.
Keywords: Phonological structure, structuralist theory, Arabic linguistic tradition, phoneme, phonological opposition, idghām, distinctive features, al-Khalīl, Sībawayhi, Ibn Jinnī.

أولاً: المقدمة

يُعدّ الدرس الصوتي ركيزةً أساسية في كل فكر لغوي؛ إذ تُشكّل الأصواتُ الطبقةَ الأولى والأكثر مباشرةً في التواصل الإنساني. ولا غرابة أن نجد الاهتمامَ بالظاهرة الصوتية متجذراً في حضارات شتى، من

الهنود الذين كتبوا في علم الأصوات قبل الميلاد، إلى اليونانيين الذين أدرجوا الصوتَ في إطار دراستهم الفلسفية للغة. وفي سياق الدرس اللغوي العربي، كان الاهتمام بالأصوات مرتبطاً في أصله بصون القرآن الكريم من اللحن والتحريف، غير أن هذا الدافع الديني لم يُقيّد الدرس الصوتي العربي في دائرة ضيقة، بل كان وقوداً ألهب عقول العلماء فأسهموا في بناء صرح معرفي متكامل في علم الأصوات .وحين نتأمل المشهد اللساني الغربي في مطلع القرن العشرين، نجد أن فرديناند دي سوسير قد أرسى بمحاضراته اللسانية العامة نقطةَ انعطاف حقيقية في تاريخ الفكر اللغوي؛ إذ حوّل الاهتمامَ من التاريخية التطورية إلى الوصف البنيوي الآني، ووضع الصوتَ في مركز النظرية اللغوية لا بوصفه حدثاً فيزيائياً بل بوصفه عنصراً وظيفياً داخل نظام مترابط. ومن هنا نشأت الفونولوجيا البنيوية التي طوّرها تروبتزكوي وياكبسون ومارتينيه في أعمال رائدة باتت مرجعاً أساسياً في كل دراسة صوتية حديثة .وتكشف قراءة المشهدَين معاً — العربي القديم والغربي الحديث — عن مفارقة لافتة: فالعلماء العرب الأوائل توصلوا إلى رؤى صوتية نظامية عميقة دون أن تتوفر لهم أدوات التجريد اللساني الحديث، في حين جاء البنيويون الغربيون بنظرية مُحكَمة البناء مُصاغَة بمصطلحية دقيقة. والسؤال الحقيقي الذي تنطلق منه هذه الدراسة ليس: أيّهما أسبق؟ بل: ما طبيعة التوافق الوظيفي بين الدرسين؟ وأين يقف التراث العربي من اللسانيات الحديثة حين ندرسهما في ضوء واحد؟

وقد عرف تاريخ الدراسات اللغوية المقارنة بين التراث العربي والفكر الغربي جهوداً طيبة، منها ما كتبه كمال بشر ومحمود السعران وإبراهيم أنيس. غير أن هذه الجهود تعاني في معظمها من إحدى علّتَين: إما الميل إلى إبراز أوجه الشبه على حساب الاختلاف الحقيقي، أو الاتجاه إلى نفي القيمة النظامية عن الدرس التراثي جملةً وتفصيلاً. وتسعى هذه الدراسة إلى سلوك مسار ثالث قوامه الموضوعية والدقة المنهجية .

ولا بدّ قبل الشروع في عرض مباحث الدراسة من إيضاح الفارق الجوهري بين علم الأصوات (Phonetics)الذي يُعنى بالجانب الفيزيائي والفسيولوجي والسمعي للأصوات، وعلم الفونولوجيا (Phonology)الذي يُعنى بوظيفة الأصوات داخل النظام اللغوي وتقابلاتها الدلالية. فعلم الأصوات يصف ما يُسمع وما ينطق، أما الفونولوجيا فتسأل: ما الذي يُفرّق بين معنيَين في هذه اللغة؟ وقد جمع علماء العربية الأوائل بين الأمرين دون تمييز صريح، بينما أقام البنيويون حاجزاً منهجياً واضحاً .

وتتكون هذه الدراسة من أربعة مباحث رئيسة: يتناول الأول الأسس النظرية للصوت والبنية في اللسانيات العامة، ويتناول الثاني الصوت في التراث اللغوي العربي مع التركيز على الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا، ويعرض الثالث مفاهيم النظرية البنيوية الكبرى في الفونولوجيا، أما الرابع فيُجري دراسةً تطبيقية مقارنة مفصّلة لظاهرتَي التقابل الصوتي والإدغام.

ثانياً: مشكلة البحث وتساؤلاته

تتمحور مشكلة هذا البحث حول ثلاثة تساؤلات رئيسة متشابكة:

1-كيف تصوّر علماء العربية القدامى الأصواتَ بوصفها منظومة متكاملة لا وحدات متفرقة؟ وما الأدوات المفاهيمية التي وظّفوها في هذا التصور؟

2- ما المفاهيم البنيوية التي يمكن إسقاطها على الدرس الصوتي العربي دون إرغام أو تكلّف؟ وما حدود هذا الإسقاط ومشروعيته المنهجية؟

.أين تبرز نقاط الالتقاء والاختلاف الحقيقية بين الدرسين، وما الدلالات المنهجية لذلك على مستقبل البحث اللساني العربي؟

وتنبع أهمية هذه التساؤلات من كونها تضع الدرس اللغوي العربي في سياق مقارن حقيقي لا مجامَل ولا مُجحِف، يُبيّن قيمته المعرفية الذاتية بمعزل عن أي ادعاء بالسبق أو إنكار للأثر .

ثالثاً: أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- رصد المنظومة الصوتية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني وابن سينا بوصفها نموذجاً للدرس الصوتي العربي في مراحله المختلفة

٢- .تحديد المفاهيم البنيوية الكبرى: الفونيم، والتقابل، والنظام، والقيمة، والسمات التمييزية، وعرض تطبيقاتها اللسانية الدقيقة.

٣- إجراء دراسة تطبيقية مقارنة مفصّلة لظاهرتَي التقابل الصوتي والإدغام في العربية بمنظور بنيوي مع تقديم نماذج تحليلية محددة.
٤- بيان أوجه التوافق الوظيفي والاختلاف المنهجي بين الدرسين بصورة متوازنة وموضوعية.
٥- الوصول إلى استنتاجات قابلة للتوظيف في الدراسات اللسانية العربية الحديثة.

رابعاً: منهج البحث وحدوده

يعتمد هذا البحث منهجَين متكاملين: المنهج الوصفي التحليلي الذي يُمكّن من تحليل النصوص الأولية عند الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا تحليلاً دقيقاً بعيداً عن القراءة الانتقائية، والمنهج المقارن الذي يتولّى الموازنة بين التصورين العربي والبنيوي في إطار منضبط يُراعي الفوارق التاريخية والمنهجية والثقافية .
وقد حرص الباحث على عدم توظيف المصطلح البنيوي في قراءة النصوص العربية القديمة إلا بعد إثبات توافر معناه أو ما يُقاربه في النص ذاته، تفادياً للإسقاط المنهجي الذي يُعدّ من أخطر الأوهام في الدراسات المقارنة. وتقتصر الدراسة على ظاهرتَي التقابل الصوتي والإدغام في اللغة العربية الفصيحة لتوفر النصوص التراثية المفصّلة عنهما، ولكونهما من أبرز الظواهر الكاشفة عن البُعد النظامي في المنظومة الصوتية العربية.

المبحث الأول: الأسس النظرية للصوت والبنية

1.1. مفهوم الصوت في الدراسات اللغوية

الصوتُ اللغوي في أعمّ تعريفاته حدثٌ هوائي صادر عن الجهاز النطقي الإنساني ومحمول بقصد التواصل. ويُميّز علماء اللسانيات اليوم بين ثلاثة مستويات لدراسة الصوت: المستوى الفيزيائي الأكوستيكي الذي يُعنى بالموجات الصوتية وخصائصها كالتردد والسعة والطيف، والمستوى الفسيولوجي النطقي الذي يُعنى بآليات إنتاج الصوت في الجهاز التنفسي والحنجري والتجويفي، والمستوى الوظيفي الفونولوجي الذي يُعنى بدور الصوت في التمييز بين المعاني داخل نظام لغوي بعينه .
وجاء الفصل صريحاً مُقنِّناً في الدراسات اللسانية الحديثة حين وضع بودوان دو كورتيناي (Baudouin de Courtenay) عام 1870م تمييزاً واضحاً بين الصوت الفيزيائي (Phone) والوحدة النفسية الوظيفية التي أسماها(Phoneme) ، وهو التمييز الذي غدا حجر الأساس في صرح الفونولوجيا البنيوية كلها .
ويرى تروبتزكوي (N.S. Trubetzkoy) في كتابه Grundzüge der Phonologie الصادر عام 1939 أن علم الأصوات الوظيفي ينبغي أن يُعنى بالأصوات بوصفها وسائل للتمييز الدلالي لا أحداثاً فيزيائية مجردة، مُفرّقاً بين الصوتم (Phoneme) والصوت الفعلي المنطوق(Phone) ، ومُقرّراً أن الفونيم لا يُدرَس منفرداً بل في شبكة من العلاقات التقابلية مع سائر فونيمات اللغة .
وإذا عدنا إلى محاضرات دي سوسير في(1916) Cours de linguistique générale ، وجدناه يُؤكد أن الصوت لا قيمة له في ذاته خارج سياق النظام اللغوي، وأن ما يهمّ هو العلاقات والتقابلات لا الجواهر المعزولة، مُصوّراً اللغةَ بصورة لعبة الشطرنج التي تكتسب فيها كل قطعة معناها من موقعها وعلاقتها بالقطع الأخرى لا من طبيعة المادة التي صُنعت منها .

1.2. مفهوم البنية عند البنيويين

البنيةُ في الفكر اللساني البنيوي منظومة من العلاقات المتشابكة التي يكتسب فيها كلُّ عنصر قيمتَه من موقعه بين العناصر الأخرى لا من خصائصه الذاتية. وهذا ما عبّر عنه دي سوسير بمقولته الشهيرة: «في اللغة ليس ثمة إلا فروق دون حدود إيجابية»، مُنبّهاً إلى أن الأثرَ الدلالي ينبثق من التمييز لا من الجوهر .
ولعل أبلغ مثال على ذلك ما ذهب إليه ياكبسون (Roman Jakobson) بالاشتراك مع فانت وهالي في Preliminaries to Speech Analysis (1952) من أن السمات التمييزية (Distinctive Features) هي الوحدات الحقيقية للتحليل الفونولوجي. وقد وضع ياكبسون اثنتَي عشرة سمة تمييزية ثنائية يمكن بتضافرها وصف جميع أصوات اللغات الإنسانية، منها: الصوامت/غير الصوامت، والمجهورة/المهموسة، والمُطبَقة/غير المُطبَقة .

أما مفهوم البنية عند هيلمسليف (Louis Hjelmslev) في مدرسة كوبنهاغن فقد أُفرغ من كل مضمون صوتي وتحوّل إلى صيغة رياضية خالصة، غير أن هذا التجريد المفرط أبعده عن التطبيق اللغوي الفعلي، مما جعل البنيوية البراغية بتوازنها بين التجريد والتطبيق هي الأكثر إسهاماً في الفونولوجيا .

1.3.العلاقة بين العنصر الصوتي والنظام اللغوي

تقوم العلاقة بين الصوت والنظام اللغوي في الفكر البنيوي على مبادئ جوهرية ثلاثة: مبدأ التقابل (Opposition)الذي يقضي بأن الصوت غير المميّز للمعنى لا يُعدّ فونيماً مستقلاً، ومبدأ التوزيع (Distribution)الذي يبحث في السياقات التي يرد فيها كل صوت، ومبدأ الخطية (Linearity) المعني بالترتيب المتعاقب للأصوات. وقد فصّل تروبتزكوي هذه المبادئ في إطار نظام التقابلات الفونيمية الذي يُعدّ ركيزة الفونولوجيا البنيوية .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن البنيويين الأوروبيين لم يكونوا كتلة متجانسة؛ إذ تباينت مدرسة جنيف عن مدرسة براغ في بعض المفاهيم، فيما آثر بلومفيلد في المدرسة الأمريكية الوصف التوزيعي الصارم وحده بعيداً عن المعنى .

المبحث الثاني: الصوت في التراث اللغوي العربي

2.1.مسيرة الدرس الصوتي العربي: النشأة والتطور

لم يكن الاهتمام العربي بالأصوات اللغوية وليدَ فراغ نظري، بل نشأ في خضمّ حاجة دينية وعملية ملحّة هي صون القرآن الكريم من اللحن والتحريف. وقد أدى التلاقح بين تلاوة القرآن وعلوم النحو والصرف إلى ظهور علم التجويد من جهة، وعلم الأصوات النحوي من جهة أخرى. غير أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-175هـ) كان الأبرز في تحويل الاهتمام الصوتي من دائرة التطبيق الديني إلى أفق الفكر اللساني الشامل .

وفيما يخص التطور التاريخي للدرس الصوتي العربي بعد سيبويه، فقد واصله علماء من أمثال ابن جني (ت 392هـ) في الخصائص والمنصف، وابن سينا (ت 428هـ) في رسالة أسباب حدوث الحروف. وقد أضاف ابن سينا بُعداً فسيولوجياً طبياً للدرس الصوتي، إذ تناول آلية النطق من منظور طبي يتكامل مع الوصف اللغوي، في حين عمّق ابن جني البُعد النظامي في دراسة الأصوات حين ربطها بمسائل الاشتقاق والصرف .

2.2.مخارج الأصوات وصفاتها عند الخليل وسيبويه

انطلق الخليل بن أحمد من تقسيم أعضاء النطق إلى مخارج متعددة، مُوزّعاً الأصوات العربية التسعة والعشرين على ستة عشر مخرجاً في معجمه العين، ابتداءً من أقصى الحلق ومروراً بالحروف اللسانية وانتهاءً بحروف الشفتين. وهذا الترتيب ليس عشوائياً، بل هو محاولة لرسم خريطة تشريحية للجهاز النطقي تقوم على مبدأ المسافة من داخل الجهاز الكلامي .

وقد أفرد سيبويه في «الكتاب» بابَين نفيسَين: «هذا باب مساكن الحروف» الذي وسّع فيه ما أجمله الخليل، و«هذا باب الإدغام» الذي تناول فيه التحولات الصوتية في الكلام المتصل. وزاد سيبويه على الخليل حين قسّم الأصوات لا وفق المخارج فحسب بل وفق الصفات أيضاً، فجاء تصنيفه مزدوجاً يراعي أُسّين معاً: أين ينتج الصوت؟ وكيف ينتج؟

وأدرك سيبويه أن الأصوات ليست متساوية القيمة في المنظومة الصوتية للعربية، فقسّمها وفق الصفات إلى ثنائيات: المهموسة والمجهورة، والشديدة والرخوة (مع المتوسطة)، والمُطبَقة والمنفتحة، والمُستعلية والمنخفضة، والمُنحرِفة والمكررة. وتُشكّل هذه الثنائيات التضادية جوهر ما سيُسميه البنيويون لاحقاً بالسمات التمييزية .(Distinctive Features)

ومما يلفت النظر أن سيبويه تنبّه إلى ظاهرة ما يُسمى اليوم بالتوزيع التكميلي حين لاحظ أن النون الخفيفة التي تأتي قبل حروف الحلق تختلف في نطقها عن النون الكاملة. وهذه الملاحظات الدقيقة تُبيّن أن سيبويه لم يكن يُصنّف الأصوات في حالة عزل مجردة، بل في سياق وظيفي صوتي حي .

2.3.إسهام ابن جني في الدرس الصوتي

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

يُعدّ ابن جني أحد أبرز من أسهم في تعميق الدرس الصوتي العربي وتنظيره. ففي الخصائص يُخصّص أبواباً عدة لدراسة الأصوات تكشف عن حسٍّ لساني رفيع؛ ففي بابه «في قوة اللفظ وضعفه» يُبيّن أن ثمة قيماً صوتية نسبية تجعل بعض الأصوات أكثر قدرة على حمل المعاني الضخمة أو الرقيقة .

ومن أبرز إسهامات ابن جني ملاحظتُه أن العربية تجنّبت الجمع بين حرفَي الحلق في كلمة واحدة في الغالب، يقول: «وذلك أن حروف الحلق لمّا كانت مؤلَّفة من مكان واحد ومشرَبة من مَعين واحد استثقل اجتماعها». وهذا التعليل النظامي الذي يُرجع الظاهرة إلى مبدأ عام يكشف عن وعي حقيقي بفكرة النظام الصوتي بوصفه نسقاً تحكمه قواعد .

2.4.ابن سينا والدرس الصوتي الفسيولوجي

أسهم ابن سينا (370-428هـ) إسهاماً نوعياً في الدرس الصوتي العربي برسالته «أسباب حدوث الحروف» التي تُعدّ أول نص عربي يتناول آليات إنتاج الأصوات من منظور تشريحي فسيولوجي متكامل. وقد أدرك ابن سينا أن الهواء هو المادة الخام للصوت، وأن الحنجرة هي مُعدِّل هذا الهواء، وأن التجاويف الرنانة هي التي تُشكّل طابع كل صوت .

وما يُميّز ابن سينا في هذا السياق أنه لم يتوقف عند الوصف التشريحي، بل ذهب إلى تصنيف الأصوات وفق آليات إنتاجها تصنيفاً يُقارب ما يُعرف اليوم بالتصنيف الفسيولوجي للأصوات (Articulatory Classification)، وقد جاء تصنيفه في بعض جوانبه أكثر دقةً من تصنيف سيبويه، لا سيما في وصف طريقة إنتاج الأصوات الاحتكاكية والانسدادية .

المبحث الثالث: الصوت في النظرية البنيوية

3.1.الصوت عند دي سوسير: من الفيزيائي إلى الوظيفي

أرسى دي سوسير في محاضراته اللسانية العامة (1916) تمييزاً جوهرياً بين اللغة (Langue) والكلام (Parole)؛ إذ اللغة نظام مجرد اجتماعي مشترك، والكلام تحقق فردي آني. ومن هذا التمييز يُصبح الصوت ذا وجهتَين: وجهة فيزيائية خاصة بالكلام الفردي، ووجهة تجريدية خاصة بنظام اللغة. ويُؤكد دي سوسير أن اللسانيات الحقة لا تدرس الكلام المتحقق بل النظام المجرد .

ولعل أكثر ما أثار الجدل في طرح دي سوسير القولُ بأن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية (Arbitrariness)؛ وهو مبدأ يقود إلى أن الصوت بوصفه دالاً يكتسب هويّته من تمايزه من غيره لا من طبيعته الفيزيائية، وهذا المنطق هو الأساس الذي يقوم عليه تعريف الفونيم وكل ما تفرّع عنه .

3.2.حلقة براغ والفونيم: تروبتزكوي وياكبسون

تأسّست حلقة براغ اللسانية عام 1926 وكان همّها الأول تطوير ما أجمله دي سوسير وتحويله إلى أداة تحليلية قابلة للتطبيق. وقد نشر أعضاء الحلقة عام 1928 ثيزاتهم المشهورة التي أعلنوا فيها عن مشروع علم الفونولوجيا الوظيفي .

وقد فصّل تروبتزكوي في Grundzüge der Phonologie مفهوم التقابل الفونيمي تفصيلاً غير مسبوق، وأقام نظاماً للتقابلات يرتكز على: التقابل الثنائي القائم على الإثبات والنفي (كالمجهور/المهموس)، والتعادل الذي يُشير إلى أن عنصرَي التقابل يتمتعان بمنزلة متكافئة في المنظومة، والتحييد الذي يُشير إلى إلغاء التقابل في سياقات صوتية بعينها .

أما ياكبسون فقد طوّر مفهوم السمات التمييزية بصورة جعلت التحليل الفونولوجي أكثر دقةً واقتصاداً؛ إذ تقوم فكرته على أن الفونيم ليس وحدةً أولية لا تُحلَّل، بل هو حزمة من السمات الثنائية المتضادة. وقد أسهم هذا التصور إسهاماً مباشراً في تطوير اللسانيات المعيارية وعلوم الحوسبة اللغوية لاحقاً .

3.3.مارتينيه ومبدأ الاقتصاد

ذهب مارتينيه (André Martinet) في كتابه Économie des changements phonétiques (1955)إلى أن الأنظمة الصوتية تخضع لمبدأ الاقتصاد(Economy Principle) ؛ أي أنها تسعى إلى تحقيق أقصى قدر من التمييز الوظيفي بأقل قدر من الجهد النطقي. ويرى أن التغيرات الصوتية التاريخية التي تطرأ على اللغات تخضع لهذا المبدأ: فحين يسقط فونيم يُخلّ غيابُه بالتوازن الوظيفي تسعى اللغة إلى ملء الفراغ .

ويُكمّل مارتينيه هذا الطرح في Éléments de linguistique générale (1960) حين يُدخل مبدأ التقسيم المزدوج(Double Articulation) ، مُبيّناً أن اللغة تُقسَّم على مستويَين: مستوى المونيمات (Monemes)ذات الدلالة، ومستوى الفونيمات (Phonemes) التي تُفرّق بين المونيمات دون أن تحمل دلالة بذاتها .

المبحث الرابع: الدراسة التطبيقية المقارنة

4.1.التقابل الصوتي: بين الدرسين العربي والبنيوي

4.1.1.مفهوم التقابل في البنيوية وتطبيقاته

يُعدّ التقابل الصوتي (Phonological Opposition) الركيزةَ الأساسية في المنهج البنيوي لتحليل المنظومة الصوتية. وقد بيّن تروبتزكوي أن الفونيمات لا تتحدد بذاتها بل بعلاقاتها التضادية مع سائر الفونيمات، ويتجلى ذلك في الأزواج الدنيا (Minimal Pairs) وهي كلمتان تتماثلان في جميع أصواتهما ما خلا صوتاً واحداً يُفضي اختلافه إلى اختلاف المعنى .

وفي العربية الفصيحة يمكن توليد عدد كبير من الأزواج الدنيا تُثبت وجود الفونيمات بوصفها وحدات وظيفية مستقلة. فمن ذلك: «قَالَ»/«كَالَ»، و«سَارَ»/«ضَارَ»، و«حَبَّ»/«جَبَّ»، و«طَالَ»/«دَالَ». وفي كل زوج منها يُفرز الاختلافُ في صوت واحد اختلافاً في المعنى، مما يُثبت أن كلاً من الصوتَين فونيم مستقل بمقتضى التعريف البنيوي .

4.1.2.التقابل الثنائي في تصنيفات سيبويه

وإذا قرأنا كتاب سيبويه قراءةً متأملة وجدناه يُصنّف الأصوات في ثنائيات وظيفية دقيقة. يقول سيبويه: «والحروف المجهورة: الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والراء والنون والزاي والدال والذال والباء والواو والميم. والحروف المهموسة: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء». فهذا التقسيم يُجسّد مبدأ التقابل الثنائي (Binary Opposition) بصورته الأجلى .

وبمجموع تصنيفات سيبويه للأصوات (شديد/رخو، مطبق/منفتح، مستعلٍ/منخفض) يكون قد وصف كلَّ صوت عربي بحزمة من الصفات الثنائية تُتيح التمييزَ بينه وبين كل صوت آخر. وهذا بالضبط ما فعله ياكبسون حين وصف كل فونيم بحزمة من السمات التمييزية .(Feature Bundle)

غير أن الفارق الجوهري يكمن في الغاية والمنهج؛ فسيبويه كان يُصنّف الأصوات لأغراض صرفية ونحوية وتجويدية، وكان تصنيفه وصفياً استقرائياً. أما ياكبسون فكان يبني نظرية اقتصادية استنتاجية. والفارق في الغاية والمنهج لا يُلغي التشابه الوظيفي المذهل في الأداة .

4.2.ظاهرة الإدغام: تحليل بنيوي مقارن

4.2.1.الإدغام في التراث العربي

الإدغامُ في الدرس العربي ظاهرة صوتية تتمثل في إدخال صوت في صوت مجاور يشاركه في المخرج أو الصفة أو كليهما، فيصيران صوتاً واحداً مُشدَّداً. وقد اشتغل سيبويه بالإدغام اشتغالاً واسعاً في «الكتاب» يُجري فيه تحليلاً دقيقاً لكل حالاته وشروطه ودرجاته .

ويُميّز سيبويه بين درجتَين من الإدغام: إدغام المتجانسَين بين صوتَين متطابقَين في المخرج والصفة كاللام في اللام، وإدغام المتقاربَين بين صوتَين يتقاربان في المخرج أو الصفة كالتاء في الطاء. وهذا التمييز يُقابل في الفونولوجيا الحديثة التمييزَ بين المماثلة الكاملة (Complete Assimilation) والمماثلة الجزئية .(Partial Assimilation)

4.2.2.الإدغام من منظور التوزيع التكميلي

بالنظر إلى الإدغام من منظور بنيوي يتضح أنه مثال على التوزيع التكميلي (Complementary Distribution)؛ إذ لا يظهر الصوتان المتقاربان معاً في السياق ذاته بل يُكمّل أحدهما الآخر في التوزيع. ففي قاعدة إدغام الدال في الذال «اتّخذ ذلك» ← «اتّخَذَّلك» يتوزع الصوتان توزيعاً تكميلياً، وحين يجتمعان يُدغمان .

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

وقد أشار ابن جني في المنصف إلى أن الإدغام «ضرب من الاقتصاد والتخفيف»؛ وهو تعبير يُلامس بدقة مبدأ الاقتصاد عند مارتينيه. ومن هنا يمكن القول إن ابن جني استشفّ علةً للظاهرة الصوتية تُجاوز مستوى الوصف إلى مستوى التفسير النظامي .

4.2.3.نماذج تطبيقية مقارنة

يُمكن توضيح التقاطع بين الدرسين بثلاثة نماذج تطبيقية:

النموذج الأول: إدغام التاء في الطاء

في صيغة «اصطبر» (أصلها: «اصتبر») أُدغمت التاء في الطاء لاشتراكهما في سمة [+انسدادي] وتقاربهما في المخرج. وبلغة السمات التمييزية البنيوية: التاء = [-مجهور، +انسدادي، -إطباق]، والطاء = [-مجهور، +انسدادي، +إطباق]، فالفارق الوحيد هو سمة الإطباق وهو ما يُفسّر إمكانية الاندماج .

النموذج الثاني: إدغام النون في الميم

في صيغة «من مضى» ← «مِمَّضى» تُدغم النون في الميم لاشتراكهما في سمة [+أنفي]. وبلغة السمات: النون = [+أنفي، +لساني]، والميم = [+أنفي، -لساني]، فالاشتراك في السمة الأنفية هو الذي يُتيح الإدغام .

النموذج الثالث: امتناع الإدغام في حالات المباينة المخرجية

في المقابل لا يجوز الإدغام بين الهمزة والحاء أو بين الباء والكاف لبُعد مخارجهما وتباين صفاتهما. وقد نصّ سيبويه على أن الإدغام لا يُطّرد إلا حيث يُوجد تقارب، فصاغ ضمنياً قاعدةً فونولوجية عامة تحكم توزيع الإدغام في العربية .

4.3.الإطار النظامي للمنظومة الصوتية العربية: قراءة بنيوية متكاملة

انطلاقاً من التحليلات التطبيقية السابقة يُمكن رسم صورة أوضح لما يُمثّله الدرس الصوتي العربي في ضوء النظرية البنيوية. فالمنظومة الصوتية العربية كما رصدها الخليل وسيبويه وابن جني تقوم على ثلاثة أسس نظامية: أولها التوزيع المخرجي، وثانيها التوزيع الصفاتي، وثالثها التوزيع السياقي الذي ينتظم فيه كل صوت وفق مواضع وروده في الكلمة وعلاقاته بما يجاوره .

وهذه الأسس الثلاثة تُقابل بدقة المستويات الثلاثة التي حددها البنيويون: المستوى الفونيمي، ومستوى السمات التمييزية، ومستوى قواعد الفونولوجيا الصرفية .(Morphophonology) ويُلاحَظ أن الدرس الصوتي العربي التراثي انتبه إلى المستوى الثالث بصورة خاصة، إذ أفرد له علماؤه مباحث صرفية اشتقاقية موسّعة في صلة الصوت بالصيغة والمعنى .

4.4.حدود المقارنة ومخاطر الإسقاط

مع ما تقدم من توافقات وظيفية حقيقية، لا بد من التنبيه إلى حدود هذه المقارنة. فمن الخطأ المنهجي الصريح أن نُقرّر بأن العرب «سبقوا» إلى الفونيم أو إلى البنيوية؛ لأن هذه المقارنة تُسقط إطاراً نظرياً كاملاً نشأ في سياق فكري حديث محدد على نصوص أُنتجت في سياق مغاير تماماً. والادعاء بالسبق يُشوّه الحقيقة التاريخية ويُقلّل من قيمة الدرس التراثي العربي الذي يمتلك قيمةً علميةً مستقلة لا تحتاج إلى استعارة شرعيتها من مفاهيم مستوردة .

كما ينبغي التنبّه إلى أن البنيوية نفسها تطورت وتجاوزها الفكر اللساني الحديث؛ إذ جاءت اللسانيات التوليدية التحويلية عند تشومسكي (Chomsky) لتُقدّم تصوراً مختلفاً جذرياً للمنظومة الصوتية في إطار الفونولوجيا التوليدية، ثم جاءت الفونولوجيا اللا-خطية (Non-Linear Phonology) بمستويات متعددة تتجاوز التحليل الأحادي. وهذا يعني أنه لا ينبغي اختزال اللسانيات الحديثة في البنيوية وحدها حين نُقارنها بالتراث العربي .

خامساً: الخاتمة والنتائج

5.1النتائج : خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج العلمية يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- أن الدرس الصوتي العربي القديم يتضمن وعياً نظامياً عميقاً يتجلى في التصنيف الثنائي للأصوات وفق صفاتها ومخارجها، ووصف ظاهرتَي الإدغام والإبدال، وتحديد شروط التقارب الصوتي.

٢- أن التصنيف الثنائي الصفاتي عند سيبويه (مجهور/مهموس، مطبق/منفتح، شديد/رخو) يتوافق وظيفياً مع مبدأ السمات التمييزية الثنائية عند ياكبسون، وإن تباينت الغاية والإطار النظري.
٣- أن ظاهرة الإدغام تُقابل مفهومَي التوزيع التكميلي (Complementary Distribution) والمماثلة الصوتية(Assimilation) ، وأن ابن جني توصّل ضمنياً إلى مبدأ الاقتصاد النطقي الذي أسّس له مارتينيه.
٤- أن الفوارق المنهجية الجوهرية بين الدرسين تتجلى في: غياب مفهوم الفونيم المجرد، وعدم الفصل بين المستويَين الفيزيائي والوظيفي، وارتباط الدرس الصوتي التراثي بالأغراض التطبيقية، وغياب مبدأ المزامنة، وانعدام الزوج الأدنى كأداة إثبات.
٥- أن إسهام ابن سينا في رسالة أسباب حدوث الحروف يُمثّل نقلة نوعية نحو التفسير الفسيولوجي المنهجي، وهو ما يجعله أقرب إلى علم الأصوات النطقي الحديث منه إلى الفونولوجيا البنيوية
٦- أن المقارنة الموضوعية تكشف أن العلماء العرب كانوا يبنون نظاماً للوصف الصوتي لأغراض تطبيقية، بينما كان البنيويون يبنون نظرية لسانية عامة، وأن هذا الاختلاف في الغاية هو مفتاح فهم أوجه التشابه والاختلاف معاً.

تُقدّم هذه الدراسة في ختامها رؤيةً تركيبية لما توصّلت إليه: فالعلماء العرب الأوائل كانوا يُؤسّسون لعلم وصفي تطبيقي، وفي هذا الإطار بلغوا من الدقة والعمق ما يُشهد له، وتجاوزوا في أحيان كثيرة حدود الوصف إلى فضاء التفسير النظامي. في المقابل، كان البنيويون الغربيون يُؤسّسون لنظرية لسانية عامة. وما يُجمع الدرسَين هو النظرة إلى الصوت بوصفه وحدةً وظيفية داخل نظام لا مجرد حدث فيزيائي عرضي .

5.2.التوصيات

في ضوء النتائج المتقدمة يُوصي البحث بما يلي

- .إعادة قراءة كتاب سيبويه ومعجم العين للخليل ورسالة ابن سينا قراءةً لسانية معاصرة تستعين بأدوات الفونولوجيا البنيوية دون إسقاط مُخِلّ.
- توسيع نطاق الدراسة المقارنة ليشمل ظواهر صوتية أخرى كالإمالة والتفخيم والقلب المكاني والمخالفة الصوتية.
- إعداد معجم مصطلحي عربي-إنجليزي يربط بين المصطلحات التراثية ونظيراتها البنيوية الحديثة.
- تضمين المناهج الأكاديمية في أقسام اللغة العربية مقرراً يُعنى بالقراءة المقارنة للتراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات الحديثة.
- توجيه الباحثين إلى الاحتراز من آفتَي الإسقاط والإجحاف في كل دراسة مقارنة بين التراث العربي واللسانيات الغربية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1952). الخصائص (تحقيق: محمد علي النجار). دار الكتب المصرية: القاهرة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1954). المنصف (تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين). دار إحياء التراث القديم: القاهرة.
- ابن سينا، أبو علي الحسين. (1954). أسباب حدوث الحروف (تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم). مطبوعات مجمع اللغة العربية: دمشق.
- أنيس، إبراهيم. (1975). الأصوات اللغوية (ط. 5). مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة.
- بشر، كمال. (2000). علم الأصوات. دار غريب: القاهرة.
- حسان، تمام. (1994). اللغة العربية معناها ومبناها (ط. 2). دار الثقافة: المغرب.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي. (1988). كتاب العين (تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي). دار ومكتبة الهلال: بيروت.

➢ دي سوسير، فرديناند. (2011). محاضرات في اللسانيات العامة (ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر). دار المعرفة: بيروت. (العمل الأصلي منشور 1916.(
➢ سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب (تحقيق: عبد السلام هارون). مكتبة الخانجي: القاهرة.
➢ عمر، أحمد مختار. (1997). دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب: القاهرة.

ثانياً: المراجع الأجنبية

➢ Anderson, S.R. (1985). Phonology in the Twentieth Century. University of Chicago Press. https://doi.org/10.7208/chicago/9780226749143.001.0001
➢ Bloomfield, L. (1933). Language. Holt, Rinehart and Winston: New York.
➢ Chomsky, N., & Halle, M. (1968). The Sound Pattern of English. Harper & Row: New York. https://doi.org/10.1515/9783111698489
➢ Clark, J., Yallop, C., & Fletcher, J. (2007). An Introduction to Phonetics and Phonology (3rd ed.). Blackwell: Oxford. https://doi.org/10.1002/9781444301243
➢ Hjelmslev, L. (1961). Prolegomena to a Theory of Language (Trans. F.J. Whitfield). University of Wisconsin Press. https://doi.org/10.1086/463608
➢ Holes, C. (2004). Modern Arabic: Structures, Functions and Varieties (Rev. ed.). Georgetown University Press. https://doi.org/10.2307/j.ctvqsdx7h
➢ Jakobson, R., Fant, G., & Halle, M. (1952). Preliminaries to Speech Analysis: The Distinctive Features and Their Correlates. MIT Press: Cambridge, MA. https://doi.org/10.7551/mitpress/5397.001.0001
➢ Ladefoged, P., & Johnson, K. (2015). A Course in Phonetics (7th ed.). Cengage Learning. https://doi.org/10.4324/9781315394626
➢ Martinet, A. (1955). Économie des changements phonétiques. Francke: Berne.
➢ Martinet, A. (1960). Elements of General Linguistics (Trans. E. Palmer). Faber and Faber: London.
➢ Robins, R.H. (1997). A Short History of Linguistics (4th ed.). Longman: London. https://doi.org/10.4324/9781315839967
➢ Saussure, F. de. (1983). Course in General Linguistics (Trans. R. Harris). Duckworth: London. (Original work published 1916). https://doi.org/10.5040/9781350006119
➢ Trask, R.L. (1996). A Dictionary of Phonetics and Phonology. Routledge: London. https://doi.org/10.4324/9780203352489
➢ Trubetzkoy, N.S. (1969). Principles of Phonology (Trans. C.A.M. Baltaxe). University of California Press. (Original work published 1939). https://doi.org/10.1525/9780520314900
➢ Vachek, J. (Ed.). (1964). A Prague School Reader in Linguistics. Indiana University Press.
➢ Versteegh, K. (1997). The Arabic Language. Edinburgh University Press. https://doi.org/10.3366/edinburgh/9780748638895.001.0001
➢ Watson, J.C.E. (2002). The Phonology and Morphology of Arabic. Oxford University Press. https://doi.org/10.1093/acprof:oso/9780198241270.001.0001